تفسير إبن كثير

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

وقوله : (ووضع الكتاب) أي : كتاب الأعمال ، الذي فيه الجليل والحقير ، والفتيل والقطمير ، والصغير والكبير (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي : من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ، (ويقولون ياويلتنا) أي : يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أي : لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر (إلا أحصاها) أي : ضبطها ، وحفظها .وروى الطبراني ، بإسناده المتقدم في الآية قبلها ، إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول االله صلى االله عليه وسلم من غزوة حنين ، نزلنا قفرا من الأرض ، ليس فيه شيء ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " اجمعوا ، من وجد عودا فليأت به ، ومن وجد حطبا أو شيئا فليأت به . قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاما ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا . فليتق االله رجل ولا يذنب

صغيرة ولا كبيرة ، فإنها محصاة عليه "وقوله : (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي : من خير أوشر كما قال تعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) [آل عمران : 30] ، وقال تعالى : (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) [القيامة : 13] وقال تعالى : (يوم تبلى السرائر) [الطارق : 9] أي : تظهر المخبآت والضمائر .قال الإمام أحمد : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لكل غادر لواء يوم القيامة [يعرف به " .أخرجاه في الصحيحين ، وفي لفظ : " يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة] عند استه بقدر غدرته ، يقال : هذه غدرة فلان بن فلان "وقوله : (ولا يظلم ربك أحدا) أي : فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ، ولا يظلم أحدا من خلقه ، بل يعفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء ، بقدرته وحكمته وعدله ، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ، [ثم ينجي أصحاب المعاصي] ويخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم ، قال تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) [النساء : 40] وقال : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا

وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء : 47] والآيات في هذا كثيرة .وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيى ، عن القاسم بن عبد الواحد المكي ، عن عبد االله بن محمد بن عقيل ، أنه سمع جابر بن عبد االله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلي ، فسرت عليه شهرا ، حتى قدمت عليه الشام ، فإذا عبد االله بن أنيس فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب . فقال : ابن عبد االله ؟ فقلت : نعم . فخرج يطأ ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول االله صلى االله عليه وسلم في القصاص ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " يحشر االله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال : العباد - عراة غرلا بهما " قلت : وما بهما ؟ قال : " ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، وله عند أحد من أهل الجنة حق ، حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وله عند رجل من أهل النار حق ، حتى أقصه منه حتى

اللطمة " . قال : قلنا : كيف ، وإنما نأتي االله - عز وجل - حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات " .وعن شعبة ، عن العوام بن مزاحم ، عن أبي عثمان ، عن عثمان بن عفان ، رضي االله عنه ؛ أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة " رواه عبد االله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه أخر ، وقد ذكرناها عند قوله : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) [الأنبياء : 47] وعند قوله تعالى : (إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) [الأنعام : 38]